International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (7)
IJESA
July 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (7)

دور أنشطة ما بعد القصة في تنمية مهارات التفكير الناقد في الطفولة المبكرة: منظور نظري تربوي

رذاذ جميل أمين سلطان
قسم الطفولة المبكرة، كلية علوم الإنسان والتصاميم، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية
rjsultan@kau.edu.sa

آمنة عبد العزيز أبا الخيل
أستاذ مشارك، علم النفس التعليمي، كلية التربية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

المستخلص

تهدف هذه الدراسة النظرية إلى تسليط الضوء على فاعلية أنشطة ما بعد القصة كاستراتيجية تربوية قائمة على السرد القصصي في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة. تنطلق الدراسة من منظور بنائي يعتمد على نظرية برونر، الذي يؤمن بإمكانية تعليم الطفل المهارات بناءً على جاهزيته كمتعلم لتلقيها وليس وفقاً لعمره الزمني، يليه تحليل نقدي لنتائج أبحاث الدماغ المعاصرة التي تدعم تبسيط المهارات وتقديمها للطفل، وتعزز دور استراتيجيات السرد القصصي وأنشطته في تعليم هذه المهارات للطفل. ثم استعراض للدراسات العلمية التي تناولت العلاقة بين السرد القصصي والتفكير الناقد. يسعى البحث إلى تحديد آليات التعامل مع النص القصصي بعد عرضه، مثل النقاش التفاعلي، الألعاب الحركية، العصف الذهني، وتصميم أنشطة تطبيقية تشجع الطفل على الاستفسار والتحليل والتقييم. كما يستعرض البحث العوامل المؤثرة في فعالية هذه الأنشطة، بما في ذلك دور المعلم والبيئة الصفية وأساليب التقييم. في الختام، يقدم البحث توصيات عملية لإدراج أنشطة ما بعد القصة ضمن المناهج التربوية، ويقترح برامج تدريبية للمعلمين تُمكّنهم من إدارة النقاش التحليلي بفاعلية، بما يعزز قدرات الأطفال على التفكير النقدي وحل المشكلات.

الكلمات المفتاحية: التفكير الناقد، أنشطة ما بعد القصة، الطفولة المبكرة، علم النفس التربوي، التعلم القائم على السرد.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (7)
IJESA
July 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (7)

The Role of Post-Story Activities in Developing Critical Thinking Skills in Early Childhood: An Educational Theoretical Perspective

Razaz Jamil Amin Sultan
Department of Early Childhood, College of Humanities and Design, King Abdulaziz University, Saudi Arabia
rjsultan@kau.edu.sa

Abstract

This theoretical study aims to highlight the effectiveness of post-story activities as a narrative-based educational strategy for developing critical thinking skills in early childhood. Adopting a constructivist framework grounded in Bruner's theory—which emphasizes teaching skills according to the learner's cognitive readiness rather than chronological age, the study proceeds with a critical analysis of contemporary neuroscience research that supports the deconstruction and simplification of complex skills for young children and underscores the role of storytelling strategies and related activities in cultivating these skills. It then reviews empirical studies exploring the relationship between narrative and critical thinking. The research seeks to identify mechanisms for engaging with the story text after its presentations such as interactive discussions, kinesthetic games, and brainstorming sessions—and to design applied activities that foster inquiry, analysis, and evaluation. Additionally, it examines factors influencing the effectiveness of these activities, including the teacher's role, the classroom environment, and appropriate assessment methods. In conclusion, the study offers practical recommendations for integrating post-story activities into curricula and proposes teacher-training programs to enable educators to facilitate analytical discussions effectively, thereby enhancing children's critical thinking and problem-solving abilities.

Keywords: Critical Thinking, Post-Story Activities, Early Childhood, Educational Psychology, Narrative Learning.

مقدمة

الدماغ البشري، التحفة التي أبدعها الخالق سبحانه، وما زال الإنسان يقف أمامها عاجزاً، عالماً كان أو مفكراً أو حتى متأملاً. إنه هو أساس التعلم فلا يمكننا نقل أي مفهوم أو خبرة أو مهارة بفعالية دون أن نفهم كيف يعمل وكيف يمكن تحفيزه وما هي أفضل الطرق لحدوث التعلم، والأهم من ذلك كيف يعالج الدماغ المدخلات التي تأتيه ويحولها إلى تفكير ومشاعر ومن ثم سلوكيات تؤدي إلى التعلم.

فالتفكير إذن وهو لب العملية التعليمية قد استولى على جزء كبير من أبحاث الدماغ، التي أثبتت أن التفكير مهارة يمكن تعليمها بشكل مقصود وهي تتحسن بالممارسة والتدريب (قطامي، 2010)، وما يقارب 70% من النمو العقلي للطفل يتم خلال فترة الطفولة المبكرة (الغريري و العبادي، 2020). وتعليم التفكير يمهد الطريق أمام تغييرات إيجابية في حياة الطفل فهو يوسع المدارك ويثري الفهم ويحسن الأداء وبالتالي يضاعف السعادة النفسية (دياني، 2017/2016).

سوف يبرز هنا تساؤل كبير؛ ما هي مهارات التفكير التي من المناسب إكسابها للطفل في الطفولة المبكرة؟ وما هي الاستراتيجيات الأفضل لتعليمه هذه المهارات؟ يمكن القول بأن الطفل يمكنه تعلم أي مهارة من مهارات التفكير حتى العليا منها كالتفكير الناقد والإبداعي إذا تم مراعاة خصائصه العقلية وقدراته في هذه المرحلة وأعطيت له المهارات المناسبة لهذه الخصائص، وبطريقة تتناسب مع نموه وطريقة تفكيره (الغريري و العبادي، 2020).

إن جميع مهارات التفكير مهمة ويؤدي تعليم أي منها للطفل إلى صقل جزء من شخصيته، ولا يمكن بحال من الأحوال تفضيل مهارة عن الأخرى، ولكن يمكن القول بأن الفيصل هنا وجود حاجة عند الطفل لتعلم المهارة في ضوء التغيرات التي تحدث في المجتمع، بالإضافة إلى مدى الاهتمام بهذه المهارة في البرامج المقدمة للطفولة المبكرة، ومن هذا المنطلق فإن تعليم الطفل مهارات التفكير الناقد والذي أصبح كلمة رائجة بين الأوساط التعليمية العالمية مؤخراً بالإضافة إلى تصنيفه كأحد مهارات القرن الحادي والعشرون التي يجب الاهتمام بتعليمها (فيشر، 2020/2011). فمن مميزاته أنه يجعل الطفل يسأل باستمرار: ماذا يحدث؟ من أين جاء هذا؟ ماذا يجب أن أفكر أيضاً؟ والسؤال الأهم: لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ فالطفل الناقد لا يتوقف على التساؤل حتى يتأكد من أنه فهم الموقف وقيّمه من جميع الزوايا. وهنا يأتي التساؤل: هل النظام التعليمي في مدارس الطفولة المبكرة يوفر هذا النوع من التعليم؟

نستعرض بعض طرق التعليم المتبعة في الطفولة المبكرة حالياً، مع طفل يتعلم الفصول الأربعة وتقضي المعلمة أربع دروس تعليمية وهي تحضر أدوات وصور ووسائل تعليمية ليعرف كيف هو الطقس في الصيف والأشجار في الخريف والملابس في الشتاء والفواكه في الربيع، ثم بنهاية الوحدة التعليمية يكون قد تذكر ما نسبته 30 إلى 50% في أحسن الظروف من هذه المعلومات (السويدان، 2006)، أما في موضوع نقل هذه المعلومات إلى واقع حياته للاستفادة منها فهذا يحتاج إلى وقفة حقيقية. هل مجرد معرفة الطفل للمعلومة تجعلها قابلة للتطبيق في حياته؟

طفل آخر يتعلم في درس كيف يمكنه التنبؤ بهطول المطر بمعرفة عدة مؤشرات كلون السماء وشكل السحب والوقت من السنة، وفي درس آخر يتعلم كيف يقيّم ملابسه إن كانت مناسبة للطقس في الخارج، وفي ثالث يصنع فطيرة بالفاكهة المناسبة للموسم في مدينته، وأخيراً يتعلم كيف يزرع نبتة يمكنها أن تعيش في طقس بيئته. وفي وسط هذه الأنشطة سوف يحصل على نفس المعلومات تقريباً، ولكن هذه المرة أثارت مهارات تفكير أكثر، وتم تسخيرها لحل مشكلات الطفل اليومية فيمكنه تطبيقها في واقعه بسهولة.

وأخيراً طفل ثالث يعيش بكل مشاعره قصة خالد الشغوف بالزراعة الذي يدير حديقة خضراء يستمتع بمنظرها ويأكل من ثمارها، ويواجه صعوبات وعوائق تحصل له على مر الفصول وكيف يستعين بمزارع يساعده على تخطي هذه الصعاب في حالات الطقس، وفي وسط الأحداث يقع في مشكلة بسبب عدم ارتدائه ملابس مناسبة للطقس ويتعلم كيف يحلها، ثم في نهاية القصة يحتفل في حديقته الخضراء بفطيرة تفاح صنعها مع والدته من شجرة حديقته. ومن أحداث هذه القصة وشخصياتها نستمد الأدوات والصور التي نقدم بها الأربع حلقات السابقة التي أدت إلى تنمية مهارات التنبؤ والتقييم والتطبيق.

الطفل الأول تلقى مفاهيم ومعلومات عن الفصول الأربعة، الثاني تعلم كيف يفكر في بعض المواقف الخاصة بالفصول الأربعة، أما الثالث فقد عايش بمشاعره وتفكيره كيفية التعامل مع بعض المواقف المتعلقة بالفصول الأربعة. فأيهم يكون قد تعلم بطريقة أفضل؟ وهذا ما أثبتته أبحاث الدماغ بأن أجزاء الدماغ التي تشارك في معالجة الحقائق المجردة هي أقل فاعلية من الأجزاء التي تشارك في معالجة القصة التي تنطوي على أماكن وأحداث، فإذا أردت أن يتذكر الطفل الخبرة وينقلها إلى حياته فإن دماغه سوف يذهب إلى المعلومات ويستحضرها، إن كانت هذه المعلومات عبارة عن حقائق سوف تحفظ في أماكن معينة من الدماغ ولكن تذكرها واستحضارها لا يكون بنفس فاعلية المعلومات التي حفظت على هيئة موقف أثير معه العديد

من الحواس والمشاعر، فالقصة الجيدة يمكنها أن تحفز الدماغ بطريقة لا يمكن للحقائق والمعلومات تحقيقها (كولينز، 2018/2015).

فتعليم مهارات التفكير الناقد عن طريق أنشطة ما بعد القصة يضفي معنى حي واقعي للمعاني المجردة، ويضفي متعة للطفل والتي تصاحب القصص دائماً، وتقديم كل مهارة من مهارات التفكير الناقد -التفسير، التحليل، الاستدلال، والتقويم – بطريقة مباشرة مستقلة عن المحتوى الدراسي، وعن طريق نشاط قصصي ذو معنى للطفل يقرب الفكرة ويحفز التعلم. وبتداخل الفهم والاستيعاب مع الاستمتاع يصبح تعليم التفكير أكثر تأثيراً على الطفل.

منهجية البحث

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تم جمع الأدبيات وتحليلها بشكل موضوعي مع التركيز على النظريات التربوية وأبحاث الدماغ والدراسات التجريبية المرتبطة، لبناء تصور لنموذج برنامج يعتمد على أنشطة ما بعد القصة في تنمية مهارات التفكير الناقد في الطفولة المبكرة.

الخلفية النظرية

تعليم الطفل مهارات التفكير:

دعمت نظريات علم النفس التربوي منذ ظهورها الدراسات والأبحاث العلمية، وكانت مادة نظرية أساسية لبناء دراسة علمية محكمة. ونظرية جيروم برونر واحدة من أبرز النظريات البنائية في علم النفس التربوي؛ فهي ترى أن المتعلم يبني المعرفة والمهارات بشكل نشط انطلاقاً من تجاربه السابقة وسياق تعلمه، وأكدت على دور المنهج المصمم بما يناسب الطفل، والمعلم المرشد الذي يهيئ الظروف لتعليم الطفل المفاهيم والمهارات المختلفة. (برونر، 2023 - 1960)

إن استعراض نظرية برونر الأساسية، واستعراض تطبيقاتها الحديثة في البيئات التعليمية سوف يشرح الكثير ويجيب على أول تساؤل قد يتبادر إلى الأذهان: هل يمكن لطفل في الثامنة من عمره تعلم مهارات التفكير الناقد؟ إن برونو ببساطة يؤمن بإمكانية تعليم الطفل المهارات والخبرات بناءً على جاهزيته كمتعلم لتلقيها وليس وفقاً لعمره الزمني. وهذا ما ترتكز عليه نظريته، حيث ذكر (Chand, 2023) أن لها ثلاث مبادئ أساسية؛ أولها جاهزية المتعلم: حيث نراعي خبرات المتعلم ومعرفته السابقة لتهيئة الدافع والقدرة على

التعلم. يليها تنظيم المحتوى: فيكون مصمماً خصيصاً ليناسب طريقة فهمه واستيعابه وقدراته. ثم التوسع والتعميم: بحيث تصمم الأنشطة بما يسمح للطفل بالتوسع واستنتاج المفاهيم وتطبيقها في سياقات جديدة.

إن هناك تسلسلاً واضحاً ذكره (برونر، 2023 - 1960) ينتقل خلاله الطفل ليصل إلى التعلم، ويُعد ضرورياً لتعميق فهمه وبناء شبكة معرفية متماسكة، وهو عبارة عن ثلاث مراحل:

1. المرحلة الحسية: يتعلم عبر حواسه وتفاعله حسياً وحركياً مع البيئة من حوله.
2. المرحلة التصويرية: إذ يمكن للطفل تمثيل العالم من خلال خياله والصور الخاصة به.
3. المرحلة الرمزية: ينتقل إلى التعبير عن المفاهيم بعبارات مجردة.

لمحة عن ماهية مهارات التفكير:

بالعودة إلى زمن سابق حيث كان يعتقد أن التفكير هبة إلهية وجينات موروثة لا يمكن للفرد الخروج عن حدودها، لم يكن هناك وجود لهذا المصطلح. ثم تراكمت الأدلة عبر السنين وقام الكثير من العلماء والباحثين بإثبات أن للتفكير مهارات يمكن تعليمها واكتسابها والتدريب عليها. (معمار، 2010) ولكن قبل الخوض في مهارات التفكير هناك سؤال مهم؛ هل هناك فرق بين تعليم التفكير وتعليم مهارات التفكير؟

طلب معلم العلوم من شادي أن يلاحظ السلحفاة التي أحضرها للفصل، ويتحدث عنها. ثم طلب من سلمى أن تدون ملاحظاتها حول طريقة مشيها ونوعية أكلها. شادي سوف يفكر ويلاحظ، أما سلمى فقد تعرضت لمهارة من مهارات الملاحظة وهي ملاحظة أمور محددة وتدوينها. كلا الطفلين فكروا، ولكن التفكير بحد ذاته عملية فطرية يمكن لأي إنسان أن يمارسها ولا يعني مجرد ممارستها إتقانها، أما تعليم مهارات التفكير فهي عملية مقننة يقوم فيها الطفل بعمل تمارين وتدريبات وأنشطة بهدف اكتساب أو تطوير مهارة من مهارات التفكير.

فالتفكير هو "سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمس" (غانم، 2017). أما مهارات التفكير فهي تتضمن مستويات متعددة من المهارات المركبة والتي بدورها تتفرع إلى مهارات فرعية يطلق عليها المهارات. إذن يمكننا تعريف مهارات التفكير بأنها: "عملية محددة نمارسها ونستخدمها عن قصد في معالجة المعلومات" (معمار، 2010). لذلك نحتاج إلى نظرة متعمقة في مستويات التفكير وماهي المهارات في كل مستوى وكيف يمكن تقسيمها إلى مهارات فرعية، وهذا ما سنفصل فيه لنكون على بينة في أن ما نقوم بتقديمه للطفل سوف يكون قابلاً للتعلم والتطوير والقياس.

مستويات التفكير كقاعدة تنبثق منها المهارات:

التفكير في التفكير هو ما قادنا في الأساس لهذا المنحى، فقد تأمل العلماء في طريقة عمل الدماغ وكيف يقوم بعملياته العقلية، وتعمقوا في تحليل أنواع وأنماط ومستويات التفكير المختلفة والتي يمكن أن يستعين بها الفرد في معالجة المواقف المختلفة في حياته. وقادهم هذا التفكير والتحليل إلى ثلاث مستويات للتفكير تندرج تحتها المهارات المختلفة.

فالتفكير فوق المعرفي هو المستوى الأول والأعلى من مستويات التفكير Meta Cognitive ويشمل التخطيط والمراقبة والتقييم. أما المستوى الثاني فهو التفكير المعرفي Cognitive وهي مهارات مركبة تتضمن مهارات فرعية، وتشمل التفكير الناقد وحل المشكلات واتخاذ القرار والتفكير الإبداعي. والمستوى الثالث مهارات التفكير الأساسية ويتكون من مهارات بسيطة كالملاحظة والمقارنة والتصنيف وهي مهارات تأتي في بداية السلم والتدريب عليها وإتقانها يقود لما بعدها. (غانم، 2017)

دماغ الطفل تحت المجهر:

إذن هناك مستويات لمهارات التفكير يندرج تحت كل مستوى قائمة من المهارات، فالذي يتبادر إلى الذهن على الفور لأي درجة يمكن لدماغ الطفل أن يتلقى هذه المهارات ويتقنها. لذلك لنلقي نظرة على دماغ طفل وسوف يتم اللجوء إلى أبحاث الدماغ التي استخدمت التصوير بتقنية الرنين المغناطيسي الوظيفي لفهم أعمق للدماغ وتفاعلاته.

يقودنا هذا الحديث إلى الدخول في بعض التفاصيل البيولوجية لتبرير منطق تعليم مهارات التفكير للأطفال، الدماغ يتكون من ملايين الخلايا العصبية في نهاياتها تشعبات عصبية تربط بين الخلايا عن طريق ناقلات عصبية، بإمكان الخلية العصبية الواحدة أن ترتبط بالكثير من الخلايا العصبية الأخرى من خلال هذه الزوائد والناقلات، هذه التشابكات والترابطات تصنع شبكات متماسكة ومتينة من الخلايا العصبية وتخلق ما يسمى المرونة العصبية؛ والتي كلما زادت استطاع الدماغ النمو والتعلم.

فما الذي يزيد من الناقلات العصبية بين الخلايا ويزيد التشابكات وبالتالي يساهم في المرونة العصبية؟ إن خبرات التعلم المبكرة والبيئة المحفزة والتفاعلات العاطفية خلال سنوات الطفولة تغير هيكلية الدماغ وتزيد المرونة وبالتالي تعطي قدرة أكبر للطفل على إدارة بيئته وسلوكياته ومشاعره، وتمكنه من الوصول إلى أقصى حدود إمكانياته. فلو تعلم الطفل معنى كلمة، مارس مهارة، أو قرأ قصة عندها سوف تتحفز ناقلات عصبية وتعمل على زيادة شبكات الاتصالات بين الخلايا وتجعلها أقوى وأكثر ديمومة؛ وعلى ذكر الديمومة فنحن

نعلم أن التكرار والممارسة هو ما يجعل المهارة والخبرة متأصلة في السلوك (Costa & Kallick, 2019). وهنا يثار سؤال مهم؛ هل الممارسة والتكرار فقط هي ما تثبت المعلومات والخبرات والمهارات؟؛ حسب ما توصل إليه علم الأعصاب هناك أمر آخر مهم في التعلم وتذكر الخبرات والمهارات وجعل إمكانية تطبيقها أكثر كفاءة سوف أتحدث عنه في مبحث أنشطة ما بعد القصة.

إذن رأينا كيف أن الخبرات والتعرض للمهارات المختلفة في سن مبكرة تحفز التعلم والقدرة العقلية عند الطفل إلى أقصى إمكانياتها، فممارسة المهارة والتدرب عليها وإتقانها هو الأساس في هذه العملية، وليس فعلها فحسب. فمن الممكن أن أطلب من الطفل أن يلعب التنس، وسوف يلعب بطريقة ما. ولكن لو دربته على مهارات التنس هنا سوف يلعب ويتقن ويستمتع؛ وهذا تماماً هو المطلوب للتعلم، وينطبق هذا حرفياً على تعليم مهارات التفكير. (Debono, 2020)

لذلك بإمكاننا أن نستنتج أن تعليم مهارات التفكير في الطفولة المبكرة ضرورة وليست رفاهية، والتركيز يجب أن يكون على نوعية المهارات التي تناسب عمر الطفل ونموه وقدراته العقلية. وهذا سوف يتم التفصيل فيه في الجزء الخاص بالتفكير الناقد في الطفولة المبكرة لإثبات إمكانية تعليمه كمهارة معرفية مركبة من مهارات التفكير حسب ما توصلت إليه أبحاث الدماغ.

بناء مفكر جيد يحقق أهداف الإرشاد النفسي:

بعد التعمق في الدماغ وخلاياه وتشعباته لندرك حرفياً ماذا يحصل في عقولنا عند تعلم المهارات، نخرج إلى أفق أوسع، إلى عالم أكثر تجريداً، ألا وهو الصحة النفسية. فلا شك أن الإرشاد النفسي التربوي يقدم برامج نمائية ووقائية وعلاجية وغايته الأسمى والأكبر جودة الحياة، فهل يساهم تعليم مهارات التفكير في تحقيق هذه الغاية؟ للوقوف على ذلك نستعرض أهم أهداف الإرشاد النفسي التربوي ونرى تأثير تعليم مهارات التفكير على دفع الطفل إلى بلوغها، مستعينة ببعض الأمثلة من المهارات التي يمكن أن يتعلمها الطفل في الطفولة المبكرة.

أهداف الإرشاد النفسي التربوي كما ذكراها (السيد و أبو بكر، 2020) خمسة أهداف:

1. فهم وتقبل الذات: اكتساب الطفل مهارات التفكير مثل مهارة تحديد السبب والنتيجة، مهارة تحديد مواطن التحيز تساعده في الاستبصار بنفسه وتفسير سبب مشاعره والتحكم في سلوكه وبالتالي تقبل أكثر لذاته.

2. تحقيق الذات: تعليم الطفل مهارات التفكير يساعده على النجاح في أداء المهام التي تطلب منه، فينتقل إلى منظومة متسلسلة من الإنجاز والثقة ومزيد من النجاح. فطفل يتعلم مهارات التفكير الإبداعي مثلاً -الطلاقة والمرونة والأصالة -سوف يحقق ذلك بكل سهولة.
3. تحقيق التوافق: مهارات مثل تحديد الأولويات، التعرف على وجهات نظر الآخرين؛ تساعد الطفل على التوفيق بين دوافعه ورغباته وبين متطلبات محيطه وبيئته من حوله، وهي البذرة الأولى لتحقيق التوافق.
4. تحقيق الصحة النفسية: إن تعليم الطفل مهارات حل المشكلات بما تتضمنه من مهارات فرعية يساعده على النضج الانفعالي والاجتماعي وتقبل واقعه والقدرة على تحمل مسئوليات الحياة وبالتالي الوصول إلى السعادة والرضا.
5. تحسين العملية التربوية: المهارات الأساسية كالملاحظة والمقارنة وتنظيم المعلومات والوصول إلى المعلومات، وجميع مهارات الاستذكار تصب في تحسين العملية التربوية وتثير الدافعية والرغبة في التحصيل، ليصل إلى أعلى ما يمكن تحقيقه من نجاح.

كانت هذه أمثلة لبعض مهارات التفكير ودورها في تحقيق أهداف الإرشاد النفسي التربوي، واستكمالاً لفكرة أنها ضرورة وليست رفاهية. وبما أنها ضرورة فهي تستحق أن نتبنى استراتيجيات لتعليمها في المدارس، فكان الاختلاف بين هذه الاستراتيجيات في نوعية إدخالها إلى المناهج؛ مدمجة أو مستقلة.

تعليم مهارات التفكير بين الاستقلالية والدمج:

هما اتجاهان لهما ثالث؛ تعليم مهارات التفكير ضمن المنهج، والثاني تعليمها بطريقة مستقلة، أما ثالثهما فهي الطريقة التكاملية أي تبني الطريقتين والتنويع بينهما. في تعليم مهارات التفكير ضمن المنهج؛ قد أطلب من الطفل تصنيف الحيوانات حسب البيئة، وأجعله يقارن بين البحر والنهر، فالتركيز هنا على المنهج والوسيلة هي مهارات التفكير، وهذا الأسلوب يضيف متعة للتعلم ويحفز عمل الدماغ ويدعم التدرب على مهارات التفكير. وبما أن التركيز على المنهج؛ فسوف نختار من مهارات التفكير ما يناسبه ويحقق أهدافه، ويتم إغفال مهارات أخرى يحتاجها الطفل، والتركيز على تعليم أساسيات المهارة وممارستها هنا سوف يكون بسيطاً لأن الهدف هو المادة العلمية وليس مهارة التفكير، فلا يتم تحليلها إلى مهاراتها والتدريب عليها. لذلك تمت المناداة بتعليم مهارات التفكير بطريقة مستقلة.

إن من أكثر المؤيدين لاستقلالية تعليم التفكير كوستا مؤلف كتاب (العقول المتطورة) وإدوارد ديبونو الذي يعتبر من كبار قادة هذا المجال، وصمم الكثير من برامج التفكير المستقلة كالقبعات الست وكورت والمفكر

الخبير (غانم، 2017). فتعليم مهارات التفكير بطريقة مستقلة تمكننا من التركيز عليها بمختلف مستوياتها وإمكانية مراعاة التدرج في تقديمها حسب ما يناسب عمر الطفل وإمكانياته، وتمكننا من تقديم مهارات تفكير أكثر تنوعاً تلامس واقعه وتعطيه قدرة أفضل على التعامل مع نفسه وبيئته. ورأى البعض أن هذا الفصل عن المنهج يجعل مهارات التفكير مادة دسمة تثقل على الطلاب وتضيف عبء عليهم، فجاء التوجه الثالث والذي دمج بين الأول والثاني.

يقتضي الاتجاه الثالث أن يتعلم الأطفال مهارات التفكير في منهج مستقل ويأخذ موضوعاته ومادته الخام من المناهج الدراسية، وهو توجه يتطلب جهد ووقت لعمل منهج تفكير يتناسب مع المنهج الذي يدرسه الأطفال في المدارس المختلفة على تباين توجهاتها من حكومية وخاصة ودولية (مركز ديبونو لتعليم التفكير، 2015).

وكما هو معروف لا يكفي البرنامج وحده في تحقيق أهدافنا التربوية، فلا بد أن تتضافر جهود أخرى وبالذات في تعليم مهارات التفكير لتسهيل الطريق.

دور المعلم في تعليم مهارات التفكير:

إن جهد تصميم البرامج والمناهج لمهارات التفكير يجب ألا يطغى على عامل أساسي في تعليمها، وهو المعلم. فطفل يتعلم مهارة تحديد وجهات نظر الآخرين من معلم لا يلقي بالاً لرأي هذا الطفل ولا يدعم اختلاف الرأي، سوف يتشتت في معايير مزدوجة ويعتبر التعليم مثاليات لا يمكن تحقيقها في الواقع، وهذه هوة عميقة في طريق تعليم مهارات التفكير.

المعلم وما يفعله في الفصل منشأ الكثير من التأثيرات على الأطفال، فقد أثبتت الأبحاث في العشرين سنة السابقة أن سلوك المعلم يؤثر على مفهوم الذات عند المتعلم وعلاقاته وعلى قدراته في التفكير (غانم، 2017). ولو أردنا تلخيص خصائص معلم مهارات التفكير، سيكون ما يلي:

1. أن يكون مؤمناً بأهمية ومبررات تعليم مهارات التفكير.
2. ذو عقلية منفتحة لكل جديد في المجال، يطلع ويبحث وينقح.
3. يتمتع بمهارات تواصل عالية فتكون طريقة كلامه وأسئلته تدعم انفتاح الفكر.
4. ينتقي الوسائل المادية والتكنولوجية المحفزة للتفكير والمشوقة للفئة العمرية التي يعلمها.
5. يختار استراتيجيات حديثة وممتعة ويقدم تغذية راجعة مناسبة.

6. يقوم بتهيئة البيئة الصفية لتحفيز ودعم تعليم مهارات التفكير.
7. ينوع أساليب المكافأة والتحفيز ويدرك مدى أهميتها في تعليم مهارات التفكير.
8. يخلق جو اجتماعي إيجابي بين الأطفال ويحفز التدريب على المهارات فيما بينهم.
9. يتعاون مع فريق العمل في المدرسة والمربين في المنزل لدعم مهارات التفكير المتعلمة.
10. يتبنى مهارات التفكير التي يعلمها ويكون سلوكه انعكاساً لها، فالقدوة هي خير معلم.

على هذا القدر من المؤهلات نريد أن يكون معلم مهارات التفكير، وعلى معلم الطفولة المبكرة أن يركز أكثر على مهارات التواصل وتهيئة البيئة. يقول مدير المعهد الوطني للصحة النفسية الأمريكية (فردريك جودن): "يمكن للبيئات الإيجابية أن تحدث تغييرات فسيولوجية طبيعية في الدماغ" (الشعراني، 2016).

التفكير الناقد.. مصفاة العقل:

لو كان هناك سائل ظاهره صافٍ ونقي مررناه على مصفاة، فظهرت بعض الشوائب؛ هذا هو ما يفعله التفكير الناقد بالأفكار. فمهاراته المختلفة هي المسامات الناعمة التي تمر من خلالها الأفكار لتقييمها فتفصل الحقيقة عن الخيال، والصدق عن الكذب، والفكر الدقيق عن المضلل. فالتفكير الناقد هو القدرة التي لدينا لمراجعة وتقييم أفكارنا حول القضايا والمواقف من حولنا بوعي وبشكل مستقل.

أوصانا الله في كتابه الكريم بإعمال العقل والتفكر والتدبر وقال سبحانه وتعالى في التفكير الناقد "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" سورة الحجرات آية 6، والتفكير الناقد موجود ما دام هناك وجود للإنسان، ولما نادى سقراط بالتفكير العقلاني بهدف توجيه السلوك كان يلقي الضوء على هذا النوع من التفكير، ثم توالى الاهتمام به عبر العصور. وفي عصرنا الحديث ظهر اهتمام أكبر بالتفكير الناقد وتأكد لدينا بأنه مهارة يمكن تعلمها؛ بدأ علماء النفس المعرفيون والتربويون في بناء وجهات نظر فلسفية عن مهاراته وطريقة إدخالها إلى العملية التربوية (المناعي، 2023). وعندما نقول العملية التربوية فهي بلا شك تتضمن مرحلة الطفولة المبكرة.

إن الطفل يتلقى خبرات ومهارات مختلفة سواءً من المنزل أو المدرسة أو المجتمع ويأخذها على أنها مسلمات، ويتقبل الأفكار ويتبناها بلا مناقشة، وهذا ما يساعدنا في تربيته وتعليمه، فغياب التفكير المنطقي رحمة من الله وحكمة إلهية تهيئ عقل الطفل لتلقي الحياة وأمورها ببساطة بلا تعقيدات. لذا تقع علينا مسئولية تعليمه المنطق والتفكير الناقد ليبدأ في تكوين رؤية واقعية وأكثر شفافية للعالم، وبالتالي تحسين تفكيره وتعامله مع

المواقف الحياتية اليومية. ولأن التفكير الناقد يحتاج إلى منطق علينا أن نعرف تحديداً متى يمكن للطفل أن يكون مستعداً لهذا النوع من التفكير.

خصائص الطفل الناقد:

منذ اللحظة التي يبدأ بها الطفل في فهم القليل من العالم حوله، يطور القدرة على التشكيك في أحداث الحياة اليومية، وسرعان ما يحيطنا بالأسئلة وآرائه في الأمور ويتحدث أحياناً عن أشياء نتوقف ونفكر فيها. وهنا نكشف القليل من قدرات الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة.

إن خصائص المفكر الناقد تتلخص في عدة سلوكيات وردود أفعال يسلكها الشخص في التعامل مع المواقف اليومية التي تواجهه، وهناك عدد من المعايير التي يكن من خلالها الحكم على الفرد بأنه مفكر ناقد، وهي ثمانية معايير (دياني، 2017):

1. الوضوح: أن تكون الفكرة واضحة ليس بها غموض ويمكن فهمها.
2. الصدق: تحري صحة المعلومات والأحداث والأفكار المطروحة.
3. الدقة: استيفاء الفكرة حقها من المعالجة والتعبير عنها بلا زيادة أو نقصان.
4. الربط: قوة العلاقة التي تربط الأفكار أو الحجة بموضوع النقاش.
5. العمق: الغوص في موضوع النقاش بما يتناسب مع تعقيداته.
6. الاتساع: أن تدور الأفكار حول جميع جوانب الموضوع وتأخذها في الاعتبار.
7. المنطق: تنظيم الأفكار وتسلسلها لتكوين معنى واضح ونتيجة معقولة.
8. العدالة: تتصف الفكرة بالأمانة والعدالة واحترام الأفكار البديلة.

وبوضع هذه المواصفات في الحسبان ننتقل إلى يوميات طفل في الثامنة من عمره، ونذكر بعض المواقف من حياته وكيف يتعامل معها:

1. تطبخ والدته كباب بالسبانخ يتردد كثيراً ثم يأخذ لقمة.
2. تسأله معلمته عن سبب شجار صديقيه فيعتذر بأنه رأى الشجار، ولكنه لا يعرف السبب.
3. يتنازل عن اللعبة التي يريد شراءها عندما يقتنع أنها لا تناسب قدراته.
4. يطلب من والديه أن يفسروا له سبب نومه مبكراً، وعدم أكله للحلويات طوال الوقت.
5. يختار ملابسه بناءً على حالة الطقس أو المناسبة ويفسر سبب اختياره.

6. يقرر الذهاب لجدته واللعب مع أبناء عمومته متخلياً عن الذهاب لمطعم مع صديقه.
7. يتحدث عن نوبة الغضب التي أصابته ويفكر في أسبابها.
8. يعدد قائمة مستلزماته التي يحتاجها للمبيت في مخيم صيفي لمدة يومين.
9. يبدي اعتراضه ويناقش والده عند سماحه لأخيه الكبير بأن يذهب لأصدقائه وحده.
10. يعدد معايير يمكنه أن يفكر فيها عند اختياره لدراجته الجديدة.

هذه مقتطفات من حياة طفل تعلم التفكير الناقد وأتقن مهاراته، وأصبح قادراً على تجسيدها في واقعه، طفل يفكر ويقدر ويتبيّن قبل أن يتصرف. مع العلم بأن هذه المهارات يمكن أن يتقنها الطفل بدرجات متفاوتة أو يتقن بعضها فقط، وعلينا تحديدها بدقة عند التعامل مع مرحلة الطفولة المبكرة لأن الطفل يتطور تفكيره في كل سنة من هذه المرحلة، فنجد اختلاف مثلاً في مهارات التفكير الناقد التي تناسب الأطفال قبل سن السابعة وبعده، ومعرفتنا لهذه المهارات وتحديدها بدقة هو الفيصل في قدرتنا على إكسابها للطفل بالطرق المناسبة.

مهارات تجعل الطفل مفكراً ناقداً:

تعددت الآراء حول تقسيم مهارات التفكير الناقد، فمنهم من فصلها لمهارات أساسية وتندرج تحتها مهارات فرعية، ومنهم من أجملها في مهارات فرعية. فعند الذين أجملوا كانت مهارات التفكير الناقد كالآتي (المناعي، 2023):

1. التعرف على الفرضيات
2. استخلاص واستنباط المعلومة
3. التميز بين الحقيقة والرأي
4. تمييز الأمور ذات الصلة
5. التعرف على التناقضات المنطقية
6. تحديد الدقة والتأني في الحكم
7. تحري التحيز والتحامل
8. التعرف على الحجج والبراهين
9. القدرة على التنبؤ
10. تقرير درجة قوة البرهان

أما الذين فصلوا الأساسية عن الفرعية فقد اختاروا من الأساسية ما يمكن أن يندرج تحته مهارات فرعية أكبر قدرة على استيعاب مهارات أبسط، وهذا يسهل تعليمها للطفل، فهو يستوعب تحليل أكبر للمهارات بما يتناسب مع الطفولة المبكرة (الغريري و يونس، 2020). وقد اعتمدت الدراسة المهارات الأساسية والفرعية التالية (مركز ديبونو لتعليم التفكير، 2015):

1. التفسير: تحديد السبب والنتيجة، تمييز الحقيقة والرأي، تحديد الدوافع، وجهات نظر الآخرين، اكتشاف المتناقضات.
2. التحليل: اعتبار جميع العوامل، تحديد الأفكار الرئيسية والفرعية، تحديد المشكلة، تحديد المبالغة وعدم الدقة، تحديد جوانب التحيز وعدم الذاتية.
3. الاستدلال: الاستدلال الاستقرائي، الاستدلال الاستنتاجي، تقييم المعلومات، تقييم الآراء والحجج، التنبؤ بالنتيجة.
4. التقويم: التمييز بين الحقائق والأقوال، تحري المغالطات المنطقية، تمييز الأمور ذات الصلة، تمييز الحجج المنطقية، تقديم الحجج والأدلة.

أبحاث الدماغ وتعليم الطفل مهارات التفكير الناقد:

بعد تبسيط مهارات التفكير الناقد لتناسب الطفل نجد أن التفكير المنطقي عنصر أساسي وقاعدة لكل هذه المهارات (فيشر، 2020)، وبالرجوع إلى أبحاث بياجيه الذي يرى أن طفل السابعة هو القادر على التفكير المنطقي وليس الأصغر منه، لسنوات، كانت الفلسفة السائدة في علم النفس المعرفي هي أن الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سبع سنوات كانوا في الغالب غير منطقيين وغير قادرين على الاستدلال. ثم، في أواخر السبعينيات، وجد الباحثون أنه من خلال الحد من تعقيد مشاكل الاستدلال، يمكن للأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم أربع سنوات حلها (Clark, 2015)، بل وأكثر من ذلك هناك دراسات تحاول إثبات إمكانية تعليم الطفل التفكير المنطقي في عمر أصغر يصل إلى سنة.

ففي دراسة منهجية استعرضت 69 بحثاً تجريبياً للتعلم الإجرائي عن طريق تدخلات سلوكية مبنية على التعزيز بدأت مع أطفال تتراوح أعمارهم من شهر إلى 12 شهر، وجدت أن جزءً منها استهدفت مهارات حل المشكلات وأظهرت فروقاً دالة في هذه المهارة. (Jessica J. Simacek, 2025) وهناك دراسة أثبتت أن رضع عمرهم 12 إلى 19 شهراً يستخدمون مهارة الإقصاء لاستنتاج هوية مجسم مخفي في تجربة تفاعلية، مما يدل على وجود قدرات منطقية مبكرة قابلة للتنمية عبر التدريب الموجه. (Nicolò Cesana-Arlotti, 2020)

وبالرجوع إلى مرونة الدماغ التي تحدثنا عنها، نجد أنها تنفي الاعتقاد السائد بأن أدمغتنا تتشكل في الطفولة ولا يمكن تغييرها، فالمرونة العصبية والروابط بين خلايا الدماغ تغير استجابة الطفل للعالم سواءً كانت نتيجة

البيئة، أو التفكير، أو العواطف، أو التعلم؛ حرفياً الدماغ قادر على تجديد نفسه. كما أن قانون (هيب) الذي ينص بأن الخلايا التي تتجدد معاً بشكل منتظم ترتبط معاً بشكل دائم يثبت أن التعلم يغير الدماغ عضوياً ويخلق مسارات جديدة بين خلايا الدماغ، وهذا يعني أننا بحاجة إلى الانتباه إلى المحفزات التي يمكننا أن نخلقها لدعم تعلم الطفل، فإذا لم يستغل هذا الترابط بين الخلايا العصبية فسيضعف ويتلاشى؛ فالدماغ يعمل بمبدأ استخدمه وإلا ستخسره (Use it or lose it) (كولينز، 2018).

إذن؛ تبسيط المهارات وتقديمها للطفل في برامج باستراتيجيات معينة -سنتحدث عنها بالتفصيل لاحقاً- يمكن أن يحفز الدماغ لتعلم مهارات التفكير الناقد في الطفولة المبكرة، مع مراعاة موضوع التدرج في تقديم المهارة للطفل وبناء الخبرات بطريقة تراكمية؛ وهذا كفيل بتعلم المهارة. أما اتقانها وتطبيقها على واقعه فهو فن آخر يتطلب منا استخدام استراتيجيات أخرى تضمن بقاء المهارة واستدعاءها عند الحاجة، مثل أنشطة ما بعد القصة في هذه الدراسة والتي سوف نرى لاحقاً كيف أن أبحاث الدماغ تدعمها.

نحو برنامج فعال لتعليم التفكير الناقد في الطفولة المبكرة:

من السهل على الطفل أن يتسرع في التفكير ويقفز إلى الاستنتاجات، ويقبل بعض الأدلة والادعاءات بظاهرها، ويتخذ القرارات بناءً على عاطفته، وينقل المعلومات دون التثبت منها. لذلك فإن انتقاله إلى طفل ناقد يتطلب استراتيجيات ومحفزات لتطوير هذه المهارة لديه.

أولاً: كن قدوة:

هناك شيء مهم نلاحظه عندما نكون محاطين بالأطفال؛ وهو الرغبة عند الطفل في تقليد الكبار من حوله، فهو لديه قدرة على تشرب جميع السلوكيات وتمثيلها، وهذا يعتبر عنصر مهم في تنمية التفكير الناقد لدى الطفل. فكلما التمس المعلم العذر وتحرى الدليل وأثار الفضول واحترم رأي من حوله، كلما كان من السهل أن نجد لدى الطفل أساس الحس النقدي وقاعدة نبني عليها مهارات التفكير الناقد (المناعي، 2023).

ثانياً: اجعله يستمتع بفضوله:

نقل عن أينشتاين أنه قال: إن الفضول أهم من المعرفة لأنه ضروري لتوليدها (Roche, 2015). كراشدين علينا أن نظهر للطفل سحر تعلم شيء جديد، فالتساؤل والفضول من أكبر محفزات التفكير الناقد، وليس المقصود هنا الإجابة على أسئلة الطفل وإشباع فضوله فقط، بل تشجيعه وتعزيزه عليها. فالطفل الفضولي يريد أن يعرف لماذا ينام مبكراً؟ ولماذا يفرش أسنانه؟ ولماذا لا يتعدى دور صديقه؟ فبالإضافة للنقاش معه

وتبسيط الأسباب له بالصور والفيديو والقصص، لا بد أن نقول له ببشاشة: أنا سعيدة جداً لأنك سألت. أنا أحب أن أجيب عن أسئلتك دائماً. لأن تكوين اتجاه إيجابي نحو الفضول عند الطفل يسهل التعلم الذاتي وحب البحث والاستكشاف؛ وجميعها أساس للتفكير الناقد (دياني، 2017).

ثالثاً: أوجد فرص ليفكر:

في بعض الأحيان وفي زحمة الحياة نقدم للأطفال إجابات جاهزة ونعطيهم حلول سريعة مما يعوق تعلمه وفضوله، (معلم، لا يمكنني فتح العلبة. أعطني إياها وسوف أفتحها لك) ولكن ماذا لو قال المعلم للطفل: فكر في طريقة لفتح العلبة، هل يمكن أن تستخدم أداة؟ عندما يسأل الطفل اجعله يفكر ويناقش ويستنتج الحل. بالإضافة إلى خلق مواقف تجعله يفكر فالطفل يحتاج إلى التعرض لأفكار مختلفة، والتعامل مع الأمور بطريقة مختلفة (فيشر، 2020)، ما رأيك أن نستخدم الشوكة استخدام آخر؟ كيف يمكن أن نخرج الكرة من الشنطة دون أن نلمسها؟ ماذا لو كان فصلنا من غير جدران؟ وعلى هذ النمط يستثير القدرة النقدية لدى الطفل، والقدرة على التعبير عن رأيه، ويكون أقل مقاومة لتفكير الآخرين.

رابعاً: دعه يعبر بحرية:

(ما رأيك؟) هي البداية لتعليم الطفل حرية التعبير، نستشيره بالقدر الذي يسمح به عمره وسلطته الصغيرة، يتعلم أن هناك قوانين لا يمكن النقاش فيها، وواجبات يمكن أن يناقش في أوقاتها مثلاً لحد معين كالوجبة، وأمور شخصية له الحرية في اختيارها كنوع الطعام وأسلوب اللعب. نثير نقاشات مفتوحة حول أشياء يحبونها ويهتمون بها، (كيف نقول لصديقنا ماجد شكراً دون أن نتكلم؟)، نعلمه ألا يتردد في طرح أفكاره والتعبير عن مشاعره حتى وإن كانت خاطئة أو غير مقبولة من وجهة نظرنا، وبالنقاش والحوار والتكرار يهتدي للطريقة المقبولة للتعبير عن رأيه. فالقدرة النقدية يبدأ تفتحها بالتعبير عن الرأي (الغريري و يونس، 2020).

خامساً: فليبدع ليكون ناقداً:

من الجميل أن يفتح الطفل عينيه على بيئة تسمح بالإبداع والأفكار الجديدة، البيئة الإبداعية تصوغ مواقف تعليمية للطفل تحفز على الأفكار الجديدة وتسمح بها وتكافئ الطفل عليها، وهي بيئة خصبة للتفكير الناقد؛ فالإبداع يغذي التفكير الناقد ويمده بالسماد الذي يحتاج إليه للنمو والتفتح، فهو يمده بالأفكار والخيالات والآراء المتعددة والمتنوعة والتي تثري الحس النقدي. فلو رجعنا إلى خصائص الطفل الناقد ومهاراته نجد أنه يحتاج إلى الطلاقة والمرونة والأصالة ليبحر أكثر في تفسير وجهات نظر الآخرين، أو تحديد جميع العوامل، أو التنبؤ بالنتيجة، أو تقديم الحجج والأدلة (دياني، 2017).

سادساً: اجعل القراءة ممتعة:

عالم القراءة والقصص الذي يحبه الأطفال وسيلة لجعل خيالهم يتدفق بطريقة لا حدود لها، مما يؤدي إلى ظهور آراء حول المواضيع والمواقف، ويسمح لهم بإظهار القدرة على الاختيار والتعبير وتنمية فرديتهم مع احترام التنوع، ولذلك فإن تقديم قراءات مناسبة لأعمار الأطفال يساعد في تنمية هذا الحس النقدي. وهو الموضوع الرئيسي لهذه الدراسة وسوف نفصل تالياً كيف يمكن أن تكون القصص طريق سهل وممتع للتفكير الناقد.

قصص الأطفال.. عالم من التعلم والمتعة:

في كل زمان ومكان يعشق الأطفال القصص، ويستمتعون بسماعها تحكى لهم، قصص تساعدهم على فهم ما يجري في حياتهم، قصص تعبر عن مشاعرهم وتعرفهم بها، توقظ خيالهم، تجعلهم يضحكون ويستمتعون؛ كل هذا وأكثر تقدمه القصة للطفل. إن إدراك قيمة القصص أمر مهم لكل مع يعيش مع الأطفال أو يعلّمهم، فهي مصدر قوي للمتعة والتعلم معاً. وإن روايتها بحب وشغف يجعل الطفل يشعر بأنها مغامرة، كما وصفت ذلك الروائية (إيلين كولويل) عندما قالت بأنه عندما يلتقي الراوي والطفل تثرى الحياة لكليهما من خلال القصة، يضحكون معاً يتشاركون الإثارة والحزن، يجربون الدهشة والشغف، شعور متبادل بالدفء والرفقة، إنها تجربة تستحق كل ما قد تكلفه من وقت وجهد (Medlicott, 2018).

فما الذي يمنح القصة القدرة على التأثير في الطفل على المستويين العاطفي والمعرفي؟ يقول عالم النفس بيتر جراي: "توفر القصص عالم محاكاة مبسط يساعدنا على فهم عالمنا الحقيقي المعقد وتعلمنا كيفية التنقل فيه". إن جوانب عالم الطفل والتي عادةً ما تكون الأكثر أهمية بالنسبة له لفهمها هي الجوانب العاطفية والاجتماعية؛ معرفة كيفية التعامل مع الحزن والغضب والحب، كيفية التعرف على رغبات الآخرين واحتياجاتهم، وكيفية التصرف تجاه الآخرين للحفاظ على صداقتهم، وكيفية كسب احترام مجتمعه، كل هذا تتضمنه القصة وتنقله للطفل بسلاسة ومتعة (Lumgair, 2021)، وإن وقع القصص في التعلم أقوى وأكبر أثراً كما سنرى لاحقاً فيما أثبتته أبحاث الدماغ.

ما يقوله علم الأعصاب عن القصة:

اجعل درسك لا ينسى بالقصص، وهو مبدأ لا ينطبق على الأطفال فقط، بل هو ما توصل إليه علم الأعصاب في بحث عميق عن الدماغ والمناطق التي تثيرها القصص فيه، عندما تواجه أي موقف في الحياة فإن الحواس ترسل رسائل إلى الدماغ ليتم معالجته في مناطق معينة؛ وفي حالة أردت استدعاء الموقف فإنك تطلب من

عقلك أن يذهب إلى هذه المناطق التي تمت فيها المعالجة ويعيد بناءها حتى تتذكر الحدث الأصلي؛ وكلما كانت المناطق التي عالجت الموقف أكثر كلما كان الاستدعاء أكبر وأفضل (كولينز، 2018).

فلو أردنا أن نعلم الطفل دورة الماء في الطبيعة، لدينا طريقتين؛ الأولى أن أشرحها له بالصور والفيديو، والثانية أن أحكي له قصة قطرة الماء (قطورة) التي كانت تعيش في النهر وعندما سطعت الشمس بحرارتها ودفئها استدعت قطورة فطارت إلى السماء مع صديقاتها وأمسكوا بأيدي بعض ليكونوا غيمة. لنقارن أي الطريقتين تثير مناطق أكثر في الدماغ كما ذكرته (كولينز، 2018) في كتابها الذي يركز على كيفية تطبيق علم الأعصاب لتحسين عملية التعليم:

جدول (1): مناطق الدماغ التي تثيرها القصة

المنطقة في الدماغ	الوظيفة	دورة الماء في الطبيعة	قصة قطورة
الفص الجداري	القراءة	✓	✓
القشرة الأمامية اليسرى	المنطق	✓	✓
نظام التنشيط الشبكي	الانتباه		✓
الهيبوكامبوس	الذاكرة		✓
اللوزة المخية	العاطفة		✓
مناطق بروكا وفيرنيكي	اللغة	✓	✓
الفص القذالي	الرؤية	✓	✓
الفص الصدغي	السمع	✓	✓
القشرة الحركية	الحركة		✓
البصلة الشمية	الشم والتذوق		✓

وكلما كانت القصة مصورة ومشوقة وأحداثها ممتعة وبيئتها قريبة للطفل؛ كلما كانت المناطق التي تثيرها أكبر وبالتالي تذكر أفضل، بالإضافة للمتعة التي تقدمها القصص والتي تثير العاطفة وهي أكثر فاعلية لأنها تساعد في خلق ذكريات طويلة المدى (كولينز، 2018).

بعد رواية القصة هناك أنشطة:

نحكي القصة أولاً، ثم بعدها يكون هناك الكثير من الأشياء، الأسئلة، التحدث، الرسم، اللعب. لقد ركزت قراءة القصص في المدارس على تعليم مهارات الاستعداد للقراءة والكتابة، ولكن قراءة القصص والأدب الذي تحتويه يمكن أن يكون مادة غنية للتفكير. إن تصميم الكاتب لكلمات القصة يمكنها أن تجذب الطفل لرؤية وفهم نسخته من الواقع، وبإضافة أنشطة تجعل الطفل يفكر ويناقش ويحلل النص سوف يكون لديه ذخيرة مختلفة من المعرفة وطرق التفكير التي تبرز رؤيته الشخصية للأمور من حوله. كل قصة يقصها المعلم يسأل

أسئلة بعدها، فأين أسئلة الأطفال حول القصة؟ لماذا ندعهم يحتفظون بأفكارهم وانتقاداتهم لأنفسهم (Roche, 2015).

إن أنشطة ما بعد القصة والتي تركز على التفكير الناقد، سوف تكون مليئة بحرية التعبير والتفكير والحوار والمناقشة؛ لماذا تمت كتابة القصة، ما تأثيرها على الطفل، وما الذي تثيره في نفسه، ما الذي ينقصها، كيف يمكن أن تروى بشكل مختلف، وغيرها من الأسئلة والأنشطة التي تصب في توسيع آفاق رؤية الطفل للعالم. فالدجاجة الحمراء من وجهة نظر طفل تحتاج إلى أصدقاء جدد. ومن وجهة نظر طفل آخر أنه خطؤها لأنها ما زالت تطلب من نفس الأصدقاء الذين لم يساعدوها بدايةً. أما سندريلا فهي ضعيفة من وجهة نظر طفل لأنها تركت الجميع يتحكمون بها حتى العرّابة. وسأل طفل لماذا الخنازير الثلاثة أبطال وقد قتلوا الذئب الذي أطلق عليه اسم الشرير لأنه يريد قتلهم، هذا ليس عدلاً. كانت هذه آراء نقدية لأطفال في الخامسة أثارتها أنشطة ما بعد القصة لبعض القصص المعروفة (Roche, 2015).

إن تنوع أنشطة ما بعد القصة تثري تعلم الطفل، ولو كان هذا التنوع يصب في مهارة معينة؛ عندها سنلمس آثاراً في دعم وتنمية هذه المهارة، ومن مميزاتها أنها تستوعب الكثير من المهارات والخبرات، فهي يمكن أن تكون رسم، تعبير، مناقشة، مناظرة، أحجية، أو لعبة. لذا يمكنها أن تكون بحراً تمتلئ أعماقه بالكثير من المتعة والتعلم.

الشواهد التجريبية

أثبتت عدة دراسات فاعلية أنشطة ما بعد القصة في تنمية التفكير الناقد، منها:

دراسة القط، (2024)، بعنوان: "فعالية برنامج استخدام القصص في تنمية بعض مهارات التفكير الناقد لدى طفل الروضة": أظهرت فاعلية القصص المصورة المرتبطة بأسئلة تحليلية في تحسين نتائج الأطفال في مكونات التفكير الناقد.

دراسة Aytar&Yarali،2019 "فاعلية برنامج التعليم القائم على القصة في مهارات التفكير الناقد لدى أطفال ما قبل المدرسة": أشارت إلى تحسن كبير في مستويات التفكير لدى الأطفال الذين خضعوا لبرنامج قصصي.

دراسة Hayes, Norrin & Devitt, Ann & O'Reilly, Catherine ، 2022 "التفكير الناقد في الفصول الدراسية لمرحلة ما قبل المدرسة – مراجعة منهجية للأدبيات": خلصت إلى أن القصة عندما تقترن بالحوار والأسئلة التحفيزية تُعد استراتيجية ناجحة لتعليم التفكير الناقد للأطفال.

المناقشة

يتضح من العرض أن أنشطة ما بعد القصة توفر بيئة تعليمية غنية تمكن الطفل من الانتقال من موقع المتلقي إلى موقع المفكر والناقد. ويؤكد ذلك على أهمية دمج هذا النوع من الأنشطة في برامج الطفولة المبكرة، مع ضرورة تدريب المعلمين على مهارات صياغة الأسئلة المفتوحة وإدارة النقاش التحليلي.

التوصيات والاتجاهات المستقبلية

- تطوير برامج تعتمد على أنشطة ما بعد القصة لتعليم الطفل المهارات المختلفة.
- إعداد معلمين قادرين على توجيه الحوار بما يعزز مهارات التفكير.
- إجراء دراسات طولية لقياس الأثر الممتد لهذه الأنشطة على التفكير الناقد.
- تطوير أدوات مقننة لقياس التفكير الناقد في الطفولة المبكرة.

المراجع

المراجع العربية:

- أبو سعادة، جودت، ومزيد، منية. (2020). أثر توظيف استراتيجيتي القصة ذات الاتجاه الواحد والقصة ذات الاتجاهين في تنمية التفكير الناقد لدى تلاميذ رياض الأطفال. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية.
- برونر، جيروم. (2023 -الأصلي 1960). العملية التربوية. (محمود الفرعوني، المترجمون) القاهرة: دار الملايين.
- جينسن، إيريك. (2008). كيف نوظف أبحاث الدماغ في التعليم. الدمام: دار الكتاب التربوي.
- خليفة، إيمان. (2021). فاعلية التعلم السريع في تنمية المفاهيم العلمية والتفكير الناقد لدى أطفال الروضة. دراسات في الطفولة والتربية -جامعة أسيوط.
- دياني، روبرت. (2017). التفكير الناقد والتفكير الإبداعي. (منذر الصالح، مترجم). مكتبة العبيكان. (العمل الأصلي نشر في عام 2016).
- رؤية 2030 المملكة العربية السعودية. (2016). في رؤية المملكة العربية السعودية https://vision2030.gov.sa/download/file/fid/422:2030

- سليمان، علي السيد. (2015).علم النفس الإرشادي. دار الجوهرة.
- السويدان، طارق. (2006). التدريب والتدريس الإبداعي. الإبداع الفكري.
- السيد، فاطمة. وأبو بكر، نشوة. (2020). تصميم وتقويم برامج الإرشاد والعلاج النفسي. الرياض: مكتبة الرشد.
- الشعراني، ربى. (2016). تعزيز التفكير في التعلم المدرسي. بيروت: دار النهضة العربية.
- عابدين، تهاني. (2021). تنمية التفكير الناقد في مرحلة الطفولة المبكرة كهدف عبر ثقافي للتربية المعاصرة. المجلة العلمية لتربية الطفولة المبكرة.
- عبد المنعم، ثروت، إسماعيل، عصام، وحمزة، هدير. (2016). مهارات التفكير الناقد لدى أطفال الروضة وعلاقتها بالمستوى التعليمي للوالدين. مجلة كلية التربية -جامعة دمياط.
- عبد الوهاب، غيداء منصور. (2016). أثر أنشطة مقترحة لتنمية بعض مهارات التفكير الناقد لأطفال المستوى الثاني بمرحلة التعليم قبل المدرسة بروضة القلم بالحلفايا بمحلية بحري. جامعة الخرطوم: http://khartoumspace.uofk.edu
- عبيدات، ذوقان، وأبو السميد، سهيلة. (2005). الدماغ والتعلم والتفكير. دار ديبونو.
- العمري، عائشة. (2013). القصة الإلكترونية المبنية على المواقف وأثرها على تنمية مهارات التفكير الناقد والقيم الأخلاقية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بمملكة البحرين. البحرين: جامعة الخليج العربي.
- العياصرة، وليد. (2011). استراتيجيات تعليم التفكير ومهاراته. دار أسامة.
- غانم، محمود. (2017). مقدمة في تدريس التفكير. دار الثقافة.
- الغريري، سعدى، والعبادي، إيمان. (2020). التفكير الناقد لدى طفل الروضة. مركز الكتاب الأكاديمي.
- الفريان، روان. (2013). فاعلية منهج قصصي في تنمية بعض مهارات التفكير الناقد لدى أطفال الروضة بالمملكة العربية السعودية. البحرين: جامعة الخليج العربي.
- فيشر، أليك. (2020). مدخل إلى التفكير الناقد. (عائشة يكن، مترجم) الدار العربية للعلوم ناشرون. (العمل الأصلي نشر في عام 2011).
- قطامي، نايفة. (2010). تفكير وذكاء الطفل. دار المسيرة.

- كولينز، ستيلا. (2018). علم الأعصاب للتعلم والتطوير. (طلعت عبد الحميد، المترجمون) مكتبة الشقري. (العمل الأصلي نشر في عام 2015).
- معمار، صلاح. (2010). علم التفكير. دار ديبونو.
- المناعي، شمسان. (2023). التفكير الناقد. دار ديبونو.

المراجع الأجنبية:

- Ágnes Melinda Kovács & Ernő Téglás Nicolò Cesana-Arlotti. (2020). Infants recruit logic to learn about the social world. Nature Communications.
- Amy Riegelman, Jaclyn Gunderson, Emma Worthley, Adele F. Dimian, Pang Chaxiong & Jason J. Wolff Jessica J. Simacek. (2025). Examining Behavioral Interventions for Infancy and Early Toddlerhood: A Systematic Review of Intervention Effects, Parameters, and Participants .Journal of Autism and Developmental Disorders.
- Chand, S. P. (2023). Constructivism in Education: Exploring the Contributions of Piaget, Vygotsky, and Bruner. International Journal of Science and Research, pp. 274-278.
- Clark, C. (2015, November 18). Babies have logical reasoning before age one. Journal Developmental Science.
- Costa, A., & Kallick, B. (2019). Nurturing Habits of Mind in Early Childhood. Florida: ASCD.
- Debono, E. (2020). How To Have A Beautiful Mind. London: Ebury Publishing.
- Dima, A., Kaiafa, E., & Tsiaras, A. (2020). Evaluation of the Educational Drama as an Innovative Method to Be Adopted by Teachers in Order to Enhance Critical Thinking Skills of Students in Primary School. (C. f. Science, Ed.) *Open Journal for Educational Research*, pp. 103-116.
- Kevser Tozduman Yaralı, F. A. (2020). The Effectiveness of Storyline-Based Education Program on Critical Thinking Skills of Preschool Children. Education and Science, pp. 1-23.
- Lumgair, H. (2021). Using Stories to Support Learning and Development in Early Childhood : A Practical Guide. London and Philadelphia: Jessica Kingsley Publishers.

- Medlicott, M. (2018). Storytelling and Story-Reading in Early Years: How to Tell and Read Stories to Young Children. London and Philadelphia: Jessica Kingsley Publishers.
- O'Reilly, C., Devitt, A., & Hayes, N. (2022, December). Critical thinking in the preschool classroom - A systematic literature review. *Thinking Skills and Creativity*.
- Roche, M. (2015). *Developing Children's Critical Thinking through Picturebooks.* Routledge.
- Ryan, T. (2014). *Thinkers Keys: A Powerful Program for Teaching Children to Become Extraordinary Thinkers.* Greenslade Creations.
- Seda Bapoğlu-Dümenci, Ü. E. (2021). Analysis of Case Problems by STEM Activities in Children's Stories and Their Effect on Problem-Solving Skills. *Journal of Faculty of Education*, pp. 378-389.